# العراق وجدلية الصراع في منطقة الشرق الأوسط

أ.د مالك دحام متعب

جامعة المشرق - كلية القانون

المقدمة: -

ان جدلية الصراع في منطقة الشرق الاوسط لم تكن غائبة في يوم من الأيام عبر مّر السنين، لكنها أصبحت أكثر وضوحا وتجلت معالمها في الفترة الأخيرة، وقد يكون اجلها قد اقترب إذ ان ملامحها باتت قريبة للمتتبع بخاصة الاحداث المتسارعة في المنطقة من خلال صراع الدول العظمى وتنافسها للسيطرة على المواقع والمناطق الاستراتيجية ذات الموارد الطبيعية لإدامة عصب حياتها وقوتها الاقتصادية، فنفط المنطقة الأقل كلفة والأعلى كثافة ووفرة في العالم والموقع الاستراتيجي الذي يمد أطراف العالم بالحياة هو الشرق الأوسط وقلبه العراق وطرق المواصلات التي تربط العالم ببعضه مكانها بلاد الرافدين الامر الذي جعل هذه المنطقة بؤرة للتنافس والصراع العالمي فيما يقابل ذلك وجود أنظمة لهذه المنطقة عاجزة عن صناعة واتخاذ القرار الصائب ويتحكم بها المتغير الخارجي بل ويسيطر على مقدراتها وإمكاناتها المختلفة

فالصراع للسيطرة على هذه المنطقة صراع عقائدي ديني وصراع اقتصادي وسياسي بين الدول العظمى والدول الكبرى ولعل العراق وموقعه في قلب الشرق الأوسط يعد الأساس في المنطقة من النواحي الدينية والحضارية والاقتصادية والسياسية والجغرافية وهذا ما تطرق اليه صنّاع القرار ومفكرو وقادة الدول الكبرى وأكدته الاحداث على ارض الواقع وما احتلال العراق وبناء القواعد القتالية وإقامة أكبر سفارات العالم الا دليل قاطع وبات على ذلك والتركيز على العراق بعدّه محورا إستراتيجيا في المنطقة، فالعراق يتملك مجموعة من المرتكزات الخاصة والمتميزة التي تعطي للدولة هيبتها وأهميتها في مدركات الدول الأخرى إذ انه يملك موقع جيو استراتيجي وعمق ثقافي ورمزية حضارية وثروات هائلة جعلت منه رقما مهما في الحسابات الدولية فمرتكزاته المادية والمعنوية تؤثر في مستوى أهميته الاستراتيجية إقليميا ودوليا، ولهذا أصبح محط أنظار وتطلعات الدول الكبرى منذ القدم، فالعراق هدف دولي على مر العصور فقد كان المحفز للتنافس بين الدول ومؤثر في حالة التوازنات الإقليمية والدولية عبر التاريخ وبعد عام 2003 وتداعيات الاحتلال الأمريكي للعراق تأكدت مدركات الدول الطامعة لأهمية العراق إقليميا ودوليا بعد تغيير النظام السياسي فيه وخروجه من الحرب كساحة فراغ استراتيجية تسعى الدول إقليميا ودوليا للسيطرة عليه والنفوذ اليه، والهيمنة على مصادر طاقاته، الأمر الذي أدى الى تزايد الأهمية في مدركات أغلب الدول الكبرى

أولا: -أهمية البحث

جاءت أهمية البحث بوصفه بحثا يوضح أهمية منطقة الشرق الأوسط بأبعادها كافة الحضارية والدينية والاستراتيجية بخاصة العراق بعدّه اهم مرتكز من مرتكزات القوة في المنطقة وتتركز فيه اهم مقومات القوة والمنعة من موقع استراتيجي متميز وحضارة عريقة وموارد اقتصادية وطاقة لا تنفد وهو محط انظار القوى العالمية مع توافر اسباب الصراع العالمي فيه

ثانيا: - هدف البحث

يهدف البحث الى إيضاح الاطماع الحقيقية والتخطط الاستراتيجي للقوى العظمى التي تتنافس وقد تتصارع للسيطرة على المنطقة ودولها بخاصة المهمة ومدى تأثير هذه الاستراتيجية وعلاقتها بأطماعها الحقيقية في المنطقة والعالم ومحاولات هذه القوى انهاء الدور الفاعل لدول المنطقة ونشر الفوضى والإبقاء على عوامل الضعف وتغذية الخلافات بكل أنواعها والتحكم بها والقضاء على القوة العسكرية واستغلال الموارد الاقتصادية

ثانيا: - إشكالية البحث

لمَّا كان الإطار العام لهذا البحث يختص بتحديد أهمية الشرق الأوسط وتحديدا العراق ويوضح أبرز المرتكزات الاستراتيجية للدول العظمى للسيطرة على المنطقة هناك إشكالية تقودنا الى أسئلة يضعها الباحث لغرض الوصول الى حقيقة الأهداف التي تخطط لها الدول العظمى مهنا: ما هي الدوافع والأسباب التي قادت الدول العظمى للتخطيط للسيطرة على المنطقة؟ ولماذا العراق؟ وهل ستكون مواجهة في منطقة الشرق الأوسط بين الأطراف الفاعلة؟ وما هو رد فعل دول هذه المنطقة على الاطماع والمخططات الخارجية؟

رابعا: - فرضية البحث

يتجه البحث لاختبار فرضية مفادها وجود تحديات تهدد منطقة الشرق الأوسط عامة والمنطقة العربية وتحديدا العراق وان هذه التحديات تحول دون تحقيق الامن والاستقرار لهذه المنطقة فالتحديات قائمة ومتجددة وتوسعية وتزداد مخاطرها يوما بعد آخر بل ملامح الصراع فيها قاب قوسين او أدنى.

منهج البحث خامسا: -

اعتمد الباحث على الاستقراء منهجا لدارسة أبرز مرتكزات القوى العالمية بخاصة القوة الامريكية بعدّها اهم القوى الفاعلة في العلاقات الدولية في منطقة الشرق الاوسط والعالم، وموقف القوى الكبرى من السياسة الامريكية والتخطيط المتبادل بين هذه القوى للسيطرة على المنطقة

المطلب الأول مفهوم الشرق الاوسط

الشرق الأوسط هو إقليم جغرافي سياسي غير واضح الحدود يتوسط دائرة تضم قارات العالم (آسيا وأفريقيا وأروبا) وعلى أرض هذا الإقليم تتصارع المصالح السياسية والاقتصادية والاجتماعية عالميا فينتج عن ذلك تناقضات تعمل على تعقيد العلاقات بينه وبين المتغيرات الداخلية والخارجية من جهة وبينهما بشكل مشترك مع المتغيرات الخارجية وعلى مختلف الصعد فقد تحولت منطقة الشرق الاوسط الى منطقة يتفاقم فيها الصراع متعدد المقاييس الى بؤرة تصادم مصالح الدول بشكل مُجتمِع. وتعددت التسميات لهذه المنطقة فمرة منطقة الشرق وأخرى الشرق الأدنى وثالثة الشرق الأوسط

فالشرق الأدنى ظهر في ستينيات القرن التاسع عشر نتيجة للنشاط الاستعماري في تلك الفترة وظهور مشاكل الأرمن ومشاكل البلقان في الإمبراطورية العثمانية، وإلى رغبة دول أوربا في أيجاد مناطق نفوذ لها في الأراضي العثمانية.

اما الشرق الأقصى فهي منطقة إقليمية واسعة تطل على المحيط الهندي والمحيط الهادي وبذلك احتوت على مجموعة أقاليم واسعة تقع في شرق وجنوب شرق أسيا، وتتألف جغرافيا من (الهند، الصين، منغوليا، شرق سيبيريا، اليابان، دول جنوب آسيا، استراليا، نيوزلندا).

وبعد انحسار الاستعمار الأوربي القديم لصالح القوى الجديدة (الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي السابق) استعملت دوائر السياسة الخارجية العاملة في هذه القوى هذه التسميات مع تبديل في المفهوم الجيوسياسي لهذه التسميات فتلاشى المفهوم الأوربي، ومن المعروف إن التسميات الأنفة الذكر قد أتت من خارج المنطقة التي تمثلها ولذلك دلالات علمية تفيد بان شعوب هذه المنطقة الجغرافية الواسعة قد شكلوا مادة سياسية تعمل فيها الأحداث التي تقرر مساراتها الدول الخارجية، وهذه المنطقة تمتد جغرافيا على المساحة الواصلة بين المغرب العربي غربا حتى أفغانستان شرقا ومن اليونان شمالا حتى المحيط الهندي جنوبا دون الأخذ بأية اعتبارات جغرافية أخرى. [1]

1 – سليم، محمد السيد، حول إشكالية النظام الدولي الجديد، مجلة السياسة الدولية، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، العدد،1991،103، ص153

المطلب الثاني: - نشأة الشرق الأوسط وأهميته

إن الأماكن وأسماؤها ذات دلالات جغرافيّة ألا إننا نجد انه من الغريب ألا يكون لعلماء الجغرافيا دور حول صياغة مصطلح الشرق الأوسط، هذا المصطلح الذي نبّه إلى استخدامه الأميرال البحري (الفريد ما هان) عام 1902 عندما كان يحض حكومة الولايات على وضع استراتيجية مضادة للنشاط الروسي في إيران فضلا عن المشاريع الألمانية المختلفة باتجاه(بغداد) ومطلقاً تسمية (الشرق الأوسط) على تلك المناطق الواقعة بين الشرق الأدنى والأقصى. أما اللورد البريطاني (كرزون) فقد أعجب بإطلاق هذا المصطلح على تلك المساحات الخاضعة للإمبراطورية البريطانية فاستعار مصطلح" الشرق الأوسط " للدلالة على إيران وتركيا والخليج العربي، ومما يجلب الاهتمام انه في عام 1932 تحديداً تم دمج قيادتي سلاح الجو الملكي البريطاني (قيادة قوات الشرق الأوسط) و(قيادة قوات الشرق الأدنى) تحت قيادة واحدة هي (قيادة الشرق الأوسط) فبدأ بذلك ينحسر مصطلح الشرق الأدنى في البلاغات العسكرية لصالح الشرق الأوسط.

وفي عام 1940 تم إنشاء هيئة أركان عسكرية في وزارة الدفاع البريطانية سميت هذه الهيئة (هيئة الأركان العليا للشرق الأوسط) عقب تهديد إيطاليا للممر الملاحي في قناة السويس، إذ غطت المنطقة الجغرافية الممتدة بشكل دائري حول مصر بدءاً من ليبيا في الغرب والصومال في الجنوب والخليج العربي في الشرق، وبذلك أصبحت أفريقيا الشمالية وهي قاعدة انطلاق العمليات العسكرية الألمانية جزءا من الشرق الأوسط وبذلك غدا هذا المصطلح مصطلحاً جيو إستراتيجيا حاضراً في البيانات والبلاغات العسكرية بشكل متواتر،فالشرق الأوسط هو حلقة الوصل بين قارات العالم الثلاث أفريقيا وآسيا وأوروبا وهو قلب أوراسيا، ويعد نقطة عبور الأرض والسكك الحديدية والجو على جزء كبير من المجتمع الدولي ويزيد من أهمية الموقع الجغرافي المهم للشرق الأوسط الانتشار الواسع للطرق الدولية في المنطقة مما أدى إلى تزايد جشع

القوى الدولية للسيطرة عليه. وبذلك فان منطقة الشرق الأوسط تحتل مكانة استراتيجية مهمة في النظام العالمي، فلا توجد بقعة في العالم تعادل نفس أهمية هذه المنطقة، فقد كانت ولا تزال مطمعاً لقوى خارجية، تنفذ أجنداتها قوى داخلية هجينة. وقد تأثرت أهمية الشرق الأوسط الاستراتيجية بمجموعة من المحددات أهمها أمن (إسرائيل) وضمان انسيابية موارد الطاقة ضمن مستويات إنتاجٍ مناسبة، وأمن الحلفاء من التهديدات المختلفة[1].

بناءً على ما تقدم يمكن تحديد منطقة الشرق الأوسط للدلالة على مجموعة الأقاليم والدول التي تقع في المناطق المتصلة والمترابطة بين قارتي آسيا وأفريقيا والتي لم تحدد تحديداً جغرافياً ثابتاً والشرق الأوسط منطقة غاية في الأهمية من الناحية الإستراتيجية للنقل والاتصال عبر الجو والبر والبحر فهي همزة الوصل بين قارات العالم القديم (أسيا، أفريقيا، أوربا) وبالتالي فان الروابط الطبيعية والبشرية المشتركة بين هذه القارات أثرت بشكل مباشر على ظهور هذا المصطلح. فدول القسم الغربي من أسيا والقسم الشمالي الشرقي من أفريقيا وبالتحديد (مصر، السودان، العراق، سوريا، لبنان، فلسطين، الأردن، شبه الجزيرة العربية، دول الخليج العربي، وتركيا، قبرص، إيران وأفغانستان). هي اهم دول الشرق الأوسط وعلى هذا الأساس يكون الشرق الأوسط واحد من أهم المناطق الحضارية والاقتصادية الإستراتيجية والسياسية في العالم منذ أقدم العصور وإن الأهمية الإستراتيجية للشرق الأوسط كانت ولازالت تدركها كل القوى الراغبة في السيطرة والاستعمار لأنه بموقعه الجغرافي يسيطر على منافذ بريه وبحرية وجوية فضلا عن احتواء على موارد وثروات طائلة، ليس أخرها(النفط). وهكذا أصبح مسرحاً للصراع الاستعماري منذ أقدم العصور حتى عصرنا هذا فرغم ما طرحه البعض من أن نهاية الحرب الباردة قد قلصت من الأهمية الإستراتيجية للشرق الاوسط، فقد كان من الواضح أن أهميته قد تعاظمت، بخاصة بالنسبة للولايات المتحدة، على نحو أدى إلى تدخلات واسعة من جانبها في تفاعلات الإقليم، كما وضح بالنسبة لعملية التسوية السلمية للصراع العربي- الإسرائيلي، ومسألة انتشار أسلحة الدمار الشامل، وما سمي "الدول المارقة" خلال تسعينيات القرن الماضي، ثم مشكلة الإرهاب وتغيير النظم السياسية بعد ما وقع في 11 أيلول/ سبتمبر 2001 من هجمات مباشرة ضد أراضيها، من جانب عناصر شرق أوسطية تنتمى في غالبيتها لدول حليفة تقليديا لها.في هذا الإطار، شكل "الوجود الدولي" في الشرق الأوسط، وما يمارسه "العامل الخارجي" من تأثيرات واسعة النطاق على تفاعلاته، سمة خاصة رئيسة في الإقليم. وقد يبدو أن هذه السمة تختلف كثيرا عما تشهده أقاليم أخرى، على نحو ما يشير إليه دور الولايات المتحدة في أميركا اللاتينية، وجنوب المحيط الهادئ، وحجم الحضور العسكري الخارجي في جنوب شرق آسيا، والتدخلات الدولية الواسعة في صراعات أفريقيا[2] إلا أن أوضاع الشرق الأوسط أعقد نسبيا من تلك الحالات، إذ إن الدور الهام للاعبين من خارج المنطقة، يبدو وكأنه جزء من مفهوم الشرق الأوسط[3]. لذلك سنبين الأهمية الاقتصادية أولا ثم الأهمية الاستراتيجية ولا يمكن التغافل عن الأهمية العسكرية وإن إحدى الخصائص التقليدية لمنطقة الشرق الأوسط تتمثل فيما يسمى "أهميتها الإستراتيجية عابرة الإقليمية"، التي تعود إلى عوامل متعددة، أبرزها احتياطيها الضخم من النفط، وتحكمها في خطوط ملاحية دولية رئيسية، وتأثيرات الصراع العربي الإسرائيلي وبؤرة الصراع المزمنة في الخليج على مصالح الأطراف الدولية بها، وقربها الجغرافي من أوروبا[4]

1-الأهمية الاقتصادية

تعد منطقة الشرق منطقة ذات قيمة اقتصادية عليا فهي من أغنى بقاع الأرض بالموارد الطبيعية وهنا تكمن اجندات دول العظمى للاستحواذ عليها، فهي تحتل مكانة لا مثيل لها من بين مناطق العالم فهي تشكل قلب العلم ومكمن موارد العالم الاقتصادية الطبيعية المهمة التي تمد العالم بالحياة فلا توجد بقعة في العالم تعادل أهمية هذه المنطقة إذ تمتلك ثروات طبيعية ضخمة، لا سيما موارد الطاقة، وعلى رأسها النفط والغاز الطبيعي، وتشكل هذه الثروات أساس الاقتصاد العالمي الحديث. وتمتلك أيضا أكبر حصة بنسبة من احتياطيات النفط المؤكدة عالميا، والتي بلغت 66% وانتج الشرق الاوسط حوالي ثلث الانتاج العالمي من النفط في نهاية القرن العشرين، وتعد هذه المنطقة المزود الرئيس للنفط الخام في للعالم المتطور بخاصةً

---

2- مجدوب طه، السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط خلال القرن العشرين" في: الإمبراطورية الأمريكية، ج1

القاهرة، مكتبة الشروق، 2001، ص 331.

2 – طاهر شاش، العلاقات الأمريكية مع العالم العريب و(إسرائيل)، في: الإمبراطورية الأمريكية، ج1 . القاهرة، مكتبة الشروق،،2001 ص247.

3- Fred Wehling (Editor)، Workshop on Arms Control and Security in the Middle East III, IGCC Policy Paper 23, June 1996. P. 6.

4- Chantal de Jonge Oudraat (Editor)، Conference of Research Institutions in the Middle East, Proceedings of the Cairo Conference

أوروبا والولايات المتحدة الامريكية وروسيا واليابان وتوجد ابار النفط بكثرة في منطقة الخليج العربي، وعلى هذا الاساس تحاول الدول الكبرى ان تسيطر على المنطقة. ومنحت هذه الموارد الطبيعية أهمية عالمية للمنطقة، وتحاول القوى العالمية السيطرة على موارد المنطقة وضمان استمرار الإمداد لاقتصادها، ما جعل المنطقة محل تنافس وموطنا للصراعات والنزاعات العالمية. وتتوفر في المنطقة ثروات معدنية أخرى كبيرة كالفوسفات والحديد والذهب والزئبق والبوتاس وغيرها، إضافة إلى الثروة الحيوانية والسمكية والأراضي الزراعية.

2- الأهمية الاستراتيجية

تتمتع منطقة الشرق الأوسط بموقع إستراتيجي مهم في السوق الاستراتيجي، فقد كانت ولا تزال مطمعاً للقوى خارجية، إذ تمثل همزة وصل بين قارات العالم الثلاث آسيا وأوروبا وأفريقيا، وتقع على مفترق الطرق البرية بين الشرق والغرب، وتطل على عدد كبير من المسطحات المائية منها البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر وبحر قزوين وبحر العرب والخليج العربي، ووفق المفهوم الواسع للمصطلح يشمل ذلك أيضا المحيط الهندي والمحيط الأطلسي. ويعتبر مضيق البوسفور والدردنيل في تركيا، وقناة السويس في مصر، ومضيق هرمز في إيران، وباب المندب في اليمن، والخليج العربي، وخليج عدن، ومضيق جبل طارق وما إلى ذلك جزءًا من الأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة. إذ ان المنطقة تتحكم بممرات الملاحة الدولية، بامتلاكها أهم المعابر البحرية، وهذا الموقع هيأ للمنطقة أن تكون ممرا رئيسيا لحركة المواصلات العالمية البرية والبحرية والجوية، ومعبرا مهما للتجارة الدولية، وموقعا إستراتيجيا عسكريا، لإقامة قواعد عسكرية في مواقع تتوسط بلدان العالم، من أجل التحكم بالممرات البحرية ذات الأهمية الإستراتيجية، والوصول إلى الأهداف العسكرية بسهولة.

3-الأهمية العسكرية: -

تعد أهمية منطقة الشرق الأوسط العسكرية من حيث العناصر ذات الصلة بالعمليات العسكرية من اهم مناطق العالم المتعلقة بالقوات العسكرية براً وبحراً وجواً والقواعد المعززة لذلك التي تعمل منها القوات المسلحة إذ ان السوق والعمق الاستراتيجي لمنطقة الشرق الأوسط يتيح لها إمكانية نشر القواعد العسكرية لتأمينها من الاخطار وان تنوع التربة واعتدال المناخ يوفر الظروف الجيدة لتدريب القوات المسلحة على القتال وصلاحية اجوائها للطيران ومياهها للملاحة في أي وقت فضلا عن اكتفائها الذاتي لمصادر الطاقة التي يحتاجها السوق العسكري ناهيك عن توفر المطارات المختلفة والقواعد الجوية التي توفر حرية المناورة للوصول الى أي هدف في العالم مع توافر عوامل الإنتاج لقيام صناعات حربية تعزز من عملية امداد القوات المتواجدة في العالم ولا يمكن التغاضي عن شبكة خطوط المواصلات البرية والبحرية والجوية للمناورة ونقل وتحريك القوات وقد شكل "الوجود الدولي" في الشرق الأوسط، وما يمارسه "العامل الخارجي" من تأثيرات واسعة النطاق على تفاعلاته، ملمحا رئيسا في المنطقة. وأن هذه السمة تختلف عما تشهده مناطق أخرى، نظرا للأهمية الاستثنائية للمنطقة ودور الولايات المتحدة في التحرك والتحكم بالمنطقة، وحضورها العسكري والتدخلات الدولية الواسعة، وإن الدور الهام للاعبين من خارج المنطقة، يبدو وكأنه جزء من مفهوم الشرق الأوسط [1] فمواقف الدول الكبرى تمارس تأثيرات خاصة على التفاعلات الرئيسية في الإقليم، وكأنها واحدة من أطرافه بالمعنى الجغرافي. ويستند ذلك عمليا من الناحية العسكرية على عدة أسس أهمها:

ارتباطات دفاعية متطورة بين عدد من دول منطقة الشرق الاوسط ومعظم القوى الكبرى في العالم، تضمنت في بعض الأحوال تحالفات إستراتيجية وتفاهمات نووية[2]

وجود قواعد وتسهيلات عسكرية مكثفة لبعض الدول الكبرى داخل وحول النطاق الجغرافي لمنطقة الشرق الاوسط.

تواجد وتحركات مكثفة لوحدات عسكرية بحرية تابعة لمعظم الدول الكبرى في المياه الدولية بالشرق الأوسط.

المطلب الثالث: - أهمية العراق في الشرق الأوسط

يعد العراق بموقعة الجيو استراتيجي، وعمقه الثقافي، ورمزية حضارته الموغلة في الزمن، وثرواته الهائلة، يشكل رقما مهما في عمليات الصراع والهيمنة والنفوذ الإقليمية والعالمية، فمن يهيمن على هذا العراق سيضع يده للسيطرة على المنطقة والعالم. فبعد احتلال العراق بدأت الولايات المتحدة بطرح مشاريعها لترتيب الخارطة السياسية والاستراتيجية للمنطقة والعالم فالعراق بالنسبة لها مهم اقتصاديا واستراتيجيا وسياسيا وحتى دينيا وحضاريا، ولذلك اتخذته قاعدة للانطلاق والضغط على الوطن العربي والدول الاخرى التي تمثل بمجملها أطراف المشروع الامريكي القديم بولادته والجديد

---

1- Fred Wehling (Editor)، Workshop on Arms Control and Security in the Middle East III, IGCC Policy 6 Paper 23, June 1996. P.

2 – صلاح الدين كامل مشرف، السلاح النووي الإسرائيلي ومستقبل الأمن العربي، مجلة إستراتيجيا، السنة التاسعة، العدد 98، أبريل 1990، ص 33

بطروحاته وادوات تنفيذه والعراق له دور محوري في هذه الاجندة لان اي تغيير في العراق سيتحكم بتغيير محتمل اقليمي او عربي اخر، هذا هو المخطط الامريكي والغربي لمناطق الطاقة والثروة، فيما تؤكد مذكرات هنري كيسنجر، أن الهدف الحقيقي والاساس من الحرب على العراق عام 2003 كان السيطرة التاريخية والروحية عليه.. والتي ستكون مقدمة لضمان السيطرة على عموم منطقة الشرق الأوسط. وان الضرب على وتر الدين والفكرة الطائفية، كان أهم وسيلة لبدء الحرب في الشرق الأوسط.. وستكون سببا في تقسيم المقسم والبدء بعملية الصراع الدامي فيه، ومن هنا جاءت فكرة اختيار العراق، لما يمتلكه من عناصر ومقومات الصراع فضلا إلى الموقع الجغرافي المجاور لإيران والسعودية، واللتين تعدان من أهم الدول من حيث أثرهما في المنطقة وتأثيرهما على مجريات الأحداث فيها، وهو ما يعد حافزا لعملية التقسيم الطائفي، إلى جانب الأسباب الأخرى المكملة والداعمة كوجود القوميات والمذاهب والتي تعد أهم الأسباب الداعمة لهذا الصراع.

ان العراق يشكل خط الصد الأول لمنطقة الشرق الأوسط امام الاطماع والتدخلات الخارجية وباختراق هذا الخط من قبل القوى الخارجية ستكون المنطقة برمتها مباحة امام التدخلات الخارجية للدول المختلفة وستتغير موازين المنطقة، وقطعا لن تتخلى الدول العظمى عن العراق بعد ان سيطرة على مقدراته بصورة مباشرة او غير مباشرة ولن تخرج منه البتة وستخلق له ازمات متنوعة ومختلفة وستلعب بخيوط تلك الازمات دون تقديم الحلول لترسيخ بقائها فيه وكل الطروحات والمسميات هي في حقيقتها أهداف يهودية وامريكية يجري تنفيذها عبر خطط ومشاريع تبدأ بمقترحات تنتهي بفرضها على ارض الواقع بشتى الوسائل بما في ذلك استخدام القوة. [1]

ويعتبر العراق من الدول المحورية في الشرق الأوسط وموقعه الجغرافي يؤهله للقيام بدور محوري قادر على التحكم في توجهات وطموحات بقية اللاعبين الجيواستراتيجين في المنطقة وعليه فإن هيمنة صورة الصراع في منطقة الشرق الأوسط بين اللاعبين يمثلون الدول الطامحة للهيمنة والقوة والسلطة

المطلب الرابع: أهمية (اسرائيل) في الشرق الأوسط

للكيان الصهيوني سياسة خارجية نشطة في منطقة الشرق الأوسط، أهداف هذه الاستراتيجية مواجهة الدول القوية والتي تهدد وجود الكيان الصهيوني، وتقوم (اسرائيل) بتعزيز التعاون الأمني والتكنولوجي والاقتصادي والتجاري مع الدول العربية التي ترتبط بعلاقات دبلوماسية، والانفتاح على العرب الرافضين للتطبيع معها أو المتحفظين عليه إلى اليوم، واستعادة العلاقات الجيدة مع تركيا بعد الهزات العنيفة التي تعرضت لها خلال السنوات الماضية،ولم يكن من أهداف السياسة الإسرائيلية تجاه الشرق الأوسط التسوية السلمية للقضية الفلسطينية وفقا لمبدأ حل الدولتين وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة في القدس الشرقية والضفة الغربية وقطاع غزة. بل الثابت هو أن (إسرائيل) تعمل على الإبقاء على الأوضاع الراهنة في الأراضي الفلسطينية التي يتواصل إن تفتيتها في القدس والضفة من خلال النشاط الاستيطاني أو حصارها العسكري والاقتصادي والتجاري والحرب المجنونة في غزة لتدميرها. وفى سبيل التنصل من حل الدولتين، لا تمانع السياسة الإسرائيلية في مواصلة التورط تجاه الشعب الفلسطيني في ممارسات لا يمكن توصيفها سوى بكونها سياسات للفصل العنصري. وابادة جماعية، وتستند العلاقات العسكرية الأميركية– الإسرائيلية على اتفاقات تحالف إستراتيجي متطورة تضمن تعاونا عسكريا معقدا بين الجانبين، توجد في إطاره شبكة تسهيلات عسكرية أميركية في معظم المواقع العسكرية الإسرائيلية، منها ستة مواقع عسكرية، أهمها الموقع 51 والموقع 53 والموقع 54، التي يتم فيها تخزين أسلحة معدات طوارئ خاصة بالقوات الجوية والقوات البحرية والقوات الخاصة الأميركية، وهي معدات يمكن أن تستخدمها القوات الإسرائيلية نفسها وقت الحاجة كما حدث في حرب 1973.

وان الاستراتيجية التي تتبعها (إسرائيل) في مفاوضاتها واتفاقاتها مع الدول العربية المحيطة هو تأمين أوسع قدر ممكن من السيطرة العسكرية على محيطها. وهذا ما تعكسه المقولة الإسرائيلية بدقة من أن "السلام الإسرائيلي – العربي سيكون سلاماً مسلحا"[2]

المطلب الخامس: - صراع القوى العظمى في الشرق الأوسط

لقد كانت الشرق الأوسط منطقة مهمة لصياغة علاقات القوة بين الدول الكبرى الفاعلة في المنظومة العالمية، وقد تجدد الصراع في المنطقة للسيطرة والهيمنة عليها وظهرت قوى وأقطاب متعددة تنافس الولايات المتحدة الأمريكية وتتصارع معها للهيمنة على المنطقة، إذ لا تقتصر علاقات القوى الجديدة التي تصاغ اليوم على أرض الشرق الأوسط، وفيما وراء المنطقة الممتدة بين المغرب وإيران عرضا وبين تركيا والسودان طولا، على المنافسة المتصاعدة اقتصاديا وتجاريا وتكنولوجيا وأمنيا وجيو – سياسيا بين الولايات المتحدة وروسيا، بل تتجاوزها باتجاه توسيع دول وكيانات كبرى كالصين

---

1 – طارق المجد وحسن أحمديان وآخرون: إشعال الصرعات في الشرق الأوسط، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، متاح على الرابط www.hattps\\:org.carnegite

2 – جميل هلال، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 6، العدد 22، 1995، ص31

والاتحاد الأوروبي لمساحات فعلهم ونفوذهم وكذلك باتجاه بروز تحالفات بينهم وبين الدول الإقليمية المؤثرة لم تكن حاضرة من قبل. فقد اتسع دور الصين في الشرق الأوسط لتتخطى بالتدريج التركيز الأحادي على النفط والتجارة والتعاون الاقتصادي باتجاه أنشطة دبلوماسية وضمانات أمنية تستهدف معا خفض مناسيب الصراع وعدم ترك قضايا المنطقة جيو ـ سياسيا للولايات المتحدة بمفردها. ومن الوساطة بين السعودية وإيران لاستئناف العلاقات واحترام السيادة والالتزام بعدم التدخل، مرورا بالإعلان عن انضمام السعودية «كشريك في الحوار» أو مراقب إلى منظمة شنغهاي للتعاون التي تقودها الصين مع روسيا والهند وتشارك فيها مصر وإيران وقطر كمراقبين، إلى الإعلان عن استعداد مجموعة بريكس التي تقودها أيضا الصين مع روسيا والهند والبرازيل وجنوب أفريقيا إتمام بعض تعاملاتها التجارية مع دول شرق أوسطية كمصر وقروضها الموجهة للتنمية باستخدام عملات بديلة للدولار الأمريكي، تدلل الصين بقوة على تنامى حضورها في منطقة الشرق الاوسط كجزء من تعاظم دورها العالمي وعلى فاعلية سياساتها. ومن الخطأ قراءة الدور الصيني الجديد في الشرق الأوسط باختزاله في منافسة الولايات المتحدة وحسب، فالتعاون مع واشنطن بما يضمن المصالح المشتركة للقطبين يظل الوجه الآخر لسياسات وممارسات بكين التي تؤجل مواجهة العملاق الغربي حاليا. وبين الكثير من المنافسة والكثير من التعاون لضمان أمن النفط وخطوط التجارة، تريد الصين تثبيت أقدامها في منطقة الشرق الاوسط كعملاق يستطيع أن يقدم لدولها علاقات اقتصادية وتجارية متطورة وتعاونا تكنولوجيا وأمنيا ودعما دبلوماسيا أفضل من الدعم التي اعتادت على تقديمه الولايات المتحدة.
فأدوارها الصين تتسع تدريجيا وتزداد فاعلية سياساتها بما لا يتعارض مع استمرار العلاقات لدول الشرق الأوسط مع الولايات المتحدة أي انها تتجنب العمل على المعادلات الصفرية وعلى أن دول الشرق الاوسط لا تحتاج للاختيار بين أحد العملاقين.

من جهة أخرى يبدو ان الاتحاد الأوربي يدخل في المنطقة في مواجهة خيارات الولايات المتحدة وخيارات الصين الاستراتيجية فالاتحاد الأوروبي على الرغم من موقفه اليوم في الصراع مع روسيا على خلفية الحرب الأوكرانية وتصعيده للتنافس مع الصين اقتصاديا وتجاريا وتكنولوجيا، لم يعد يملك تلك الأوراق السياسية الفعّالة في الشرق الأوسط كالتي تملكها الولايات المتحدة والصين. فالاتحاد الأوربي تراجع في تقديم الضمانات الأمنية، ولا يستحوذ اقتصاديا وتجاريا على مرتبة الشريك الأول باستثناء عدد قليل من دول الشرق الأوسط. ولا توجد للاتحاد الأوروبي الأوراق التفاوضية التي كانت له تجاه إيران أو فيما خص القضية الفلسطينية، ولم يعد له وجود في ساحات الصراع سوى على الهامش في اليمن وفى تحالف مع قوى عالمية وإقليمية في ليبيا، وبعيدا عن شمال أفريقيا تنحسر تجارته، صادرات وواردات، مع المنطقة. لذا فالاتحاد الأوروبي يتجه بصورة متزايدة إلى التنسيق الاستراتيجي الشامل مع الولايات المتحدة في الشرق الأوسط التي تتقدم المعسكر الغربي كالقوة الأكبر التي ترغب البقاء في المنطقة، فمواقف الدول الكبرى تمارس تأثيرات خاصة على التفاعلات الرئيسية في الإقليم، وكأنها واحدة من أطرافه بالمعنى الجغرافي. ويستند ذلك عمليا -من الناحية العسكرية- على عدة أسس، أهمها[1]:

ارتباطات دفاعية متطورة بين عدد من دول الإقليم ومعظم القوى الكبرى في العالم، تضمنت في بعض الأحوال تحالفات إستراتيجية وتفاهمات نووية

وجود قواعد وتسهيلات عسكرية مكثفة لبعض الدول الكبرى داخل وحول النطاق الجغرافي للمنطقة.

3- تواجد وتحركات مكثفة لوحدات عسكرية بحرية تابعة لمعظم الدول الكبرى في المياه الدولية بالشرق الأوسط.

الاستراتيجية الامريكية

لم نتفق مع الاتجاهات التي تذهب الى تراجع وانحسار فاعلية السياسات الأمريكية في الشرق الأوسط، فالولايات المتحدة لم تفقد نفوذها وتظل القوة الكبرى الأكثر تواجدا وتدخلا عسكريا في المنطقة والأكثر قدرة على تقديم ضمانات أمنية لعديد من الدول فيها. ويتمثل التحدي الحقيقي الذى يواجهه صنّاع السياسة الخارجية في البيت الأبيض والكونجرس في تقبل النهاية الحتمية لحقبة الهيمنة المنفردة التي بدأت في تسعينيات القرن العشرين (بعد سقوط الاتحاد السوفييتي السابق) والتدخل المباشر في العراق، والانفتاح على قراءة هادئة لتعددية الأقطاب في الشرق الأوسط لا تختزلها في تهديدات للمصالح الأمريكية انما تبحث في سياقاتها عن فرص الحد من استنزاف القدرات العسكرية والأمنية والاقتصادية للعملاق الغربي في رمال منطقتنا (كارثة غزو العراق نموذجا) وعن إمكانيات التنسيق والتعاون الاستراتيجي والتكتيكي مع بعض الدول والكيانات الكبرى الأخرى لضمان المصالح المشتركة، خاصة إمدادات النفط والتبادل التجاري، وحل الصراعات ودعم الاستقرار والسلم الإقليميين.

---

1- طه المجدوب، إسرائيل والمشروع الجديد للأمن والدفاع: معاهدة الدفاع مع الولايات المتحدة ركيزة جوهرية في النظرية الجديدة، الأهرام2000/3/5.

لكن ظل هناك دائما فارق كبير بين حجم ونوعية الوجود العسكري الدولي للولايات المتحدة في الشرق الأوسط، ومثيلاته بالنسبة لكل القوى الكبرى الأخرى منذ بداية التسعينيات على الأقل، فقد أصبحت القوات الأميركية تمثل مركز الثقل العسكري الخارجي في المنطقة، بعد أن تم سحب القوات السوفياتية، وإغلاق قواعدها العسكرية بها، وتقلص وجود روسيا الاتحادية إلى مستوى المستشارين العسكريين بعد انهيار الاتحاد السوفياتي عام 1991، مع محدودية حجم وتسليح وانتشار قوات بريطانيا المتحالفة تقليديا مع الولايات المتحدة، وفرنسا شريك الناتو المزعج بالنسبة لها.

فالقوات الأميركية تتمتع بشبكة واسعة من التسهيلات العسكرية التي تتيح لها الحضور أو التحرك "بشكل ما" في أراضي وأجواء ومياه كل دول الشرق الأوسط تقريبا باستثناء إيران.

لقد كان لحرب الخليج الثانية عام 1991 تداعيات مهمة، أدت إلى تحول كبير في شكل الوجود العسكري الأميركي في الشرق الأوسط وتحديدا منطقة الخليج العربي، فقد تم استخدام المجال الجوي وزيارة الموانئ واستخدام المطارات العسكرية وعمليات النقل الجوي والانتشار المتقدم وخدمات الوقود والصيانة وتخزين الأسلحة إضافة إلى المناورات العسكرية المشتركة وبذلك فقد تزايد عدد القواعد العسكرية الرئيسية بشكل غير مسبوق، ليصل إلى خمس قواعد عسكرية في دول الخليج وحدها. وتشكل هذه المراكز عمليات عسكرية رئيسة شبه متكاملة، تتمتع باستقلالية نسبية، وقدرة عامة على دعم عمليات قتال جوية أو برية أو بحرية، سواء من خلال تمركز عناصر من تلك القوات فعليا فيها، أو تجهيز القاعدة لانتشارها وقت الحاجة، وتتم إدارتها بموجب اتفاقات عسكرية مع الدول المضيفة لها. ويمكن ذلك القوات الأميركية من إدارة عمليات عسكرية رئيسية بشكل سريع في اتجاهات مختلفة دون حاجة لخطط حشد كبرى، أو إتمام ذلك الحشد بشكل سريع.

في هذا الإطار، يمكن رصد أهم مواقع انتشار التسهيلات العسكرية الأميركية في الشرق الأوسط، خاصة في المنطقة المحيطة بالعراق، كالتالي[1] :-

ففي البحرين هناك تسهيلات عسكرية مختلفة في ميناء سالمان ومطار المحرق وقاعدة الشيخ عيسى الجوية، لكن قاعدة الجفير العسكرية، القريبة من المنامة، تمثل واحدة من أهم القواعد العسكرية في الخليج، حيث تضم مركز قيادة الأسطول الخامس الأميركي، ومركز قيادة القوات الخاصة. ويتمركز في البحرين ما بين 860 و1200 عسكري،

اما الكويت فتتمركز القوات الأميركية في كل المواقع العسكرية الكويتية الرئيسة تقريبا، وتعمل بصورة مشتركة مع جيش الكويت، ويبلغ عدد القوات الأميركية في الكويت حوالي 10 آلاف عسكري، مع حوالي 522 دبابة، ومعدات للواء مدرع (ثلاث كتائب)، وحوالي 52 مقاتلة و75 هليكوبتر مسلحة أباتشي ووحدات باتريوت.

وفي قطر أصبح الوجود العسكري الأميركي في قطر يتسم بالقوة في الفترة الأخيرة، تمثل في وجود مخازن أسلحة ومعدات لتشكيل عسكري بحجم لواء، وتعد قاعدة العديد العسكرية من أهم القواعد العسكرية الأميركية في الخليج العربي، خاصة بعد نقل مقر القيادة المركزية من فلوريدا إليها. ويبلغ حجم القوات الأميركية في قطر 3000 جندي و175 دبابة، وعددا من طائرات الاستطلاع.

وتمثل مواقع تواجد للقوات الأميركية في السعودية من اقوى التسهيلات العسكرية فهناك تسهيلات عسكرية مختلفة لعناصر متعددة من القوات الأميركية في الدمام والهفوف والخبر وتبوك وينبع وقاعدة الملك عبد العزيز بالظهران وقاعدة الملك فهد البحرية بجدة وقاعدة الملك خالد الجوية بأبها، وقاعدة الرياض العسكرية، وقاعدة الطائف العسكرية، لكن قاعدة الأمير سلطان الجوية جنوب الرياض هي أقوى مواقع التواجد العسكري الأميركي في السعودية، حيث يوجد بها حوالي 5100 جندي أميركي.

وفي عمان يعد الوجود العسكري الأمريكي واحدة من أكثر المواقع فعالية في المنطقة، خاصة بعد مشاركة القوات الأميركية المتواجدة بها في حرب أفغانستان. وتتركز التسهيلات العسكرية الممنوحة للولايات المتحدة في ميناء قابوس بمسقط وميناء صلالة ومطار السيب الدولي. ويتمركز في عمان حوالي 3000 عسكري أميركي، وعناصر مختلفة تابعة للقوات الجوية والبحرية

---

1 – تم الاعتماد في البيانات الخاصة بالتسهيلات والقواعد الأميركية في الشرق الأوسط على عدة مصادر، وهي: تقرير الميزان العسكري السنوي، الذي يصدره المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية بلندن للعام 2001–2002، (The Military Balance, IISS,2001– 2002). وكذلك موقع www.globalsecurity.org الذي يقدم رصدا موثقا للتسهيلات العسكرية الأميركية على المستوى الدولي، إضافة إلى تقرير Ready to Move in, Time, December 2,2002. ولم يتم رصد البيانات الخاصة بوجود قوات للقوى النووية الكبرى في إطار "عمليات حفظ سلام" لارتباط عملها بإطار إستراتيجي مختلف عن "الوجود العسكري" المعتاد

تتمتع القوات الأميركية الامارات العربية بعناصر مختلفة من التسهيلات العسكرية في عدد من المواقع الإماراتية، كقاعدة الظافرة الجوية بأبو ظبي ومطار الفجيرة الدولي، وعدد من الموانئ البحرية كميناء زايد وميناءي رشيد وجبل على بدبي وميناء الفجيرة. ويتواجد في الإمارات حوالي 500 عسكري أميركي وبعض طائرات الاستطلاع.

وفي الأردن يوجد حوالي 1200 عسكري تابعين للقوات الجوية، وميناء العقبة الذي تقدم فيه خدمات مختلفة للقوات البحرية. وتجرى بانتظام تدريبات عسكرية مشتركة بين الجانبين.

وترتبط مصر بعلاقات عسكرية قوية متعددة المستويات مع الولايات المتحدة، تتخذ شكل تعاون تسليحي ومساعدات عسكرية وتدريبات مشتركة. وتشمل التسهيلات العسكرية المقدمة إلى الولايات المتحدة في مصر، تسهيلات للقوات البحرية في الموانئ مثل بورسعيد والسويس والغردقة والتي تكتسب أهميتها في ظل المرور المكثف بقناة السويس

اما تركيا هي الدولة الوحيدة العضو في حلف شمال الأطلنطي (الناتو) بالشرق الأوسط، وتربطها علاقات عسكرية قوية مع الولايات المتحدة. وتوجد فيها -إضافة إلى تسهيلات عسكرية في معظم الموانئ والمطارات- واحدة من كبرى القواعد العسكرية التابعة للناتو (الولايات المتحدة) في المنطقة، وهي قاعدة إنجيرليك الجوية التي تضم حوالي 1700 جندي أميركي، وتتمركز بها 36 مقاتلة من طرازات مختلفة، تعمل عادة في إطار مهام مراقبة منطقة الحظر الجوي شمال العراق، ويمكن زيادتها في حالة الحرب بأعداد كبيرة، وتجري في القواعد التركية عمليات توسع عسكرية هامة بتمويل أميركي في الوقت الحالي، بما يمكن من حشد أعداد هائلة من القوات والمقاتلات وقت الحاجة[1].

أن الوجود العسكري الأميركي يمثل أحد الملامح الأساس التي تشكل واقع الشرق الأوسط وانه يطوق المنطقة برمتها عسكريا وهو عنصر فاعل من عناصر المعادلات الإستراتيجية الحاكمة لتفاعلاته، ذلك يوضح الصورة تماما فهناك طوق من القواعد العسكرية الرئيسية الأميركية تحيط بالشرق الأوسط[2]

أن الوجود العسكري الدولي الفعلي في منطقة الشرق الأوسط أكبر مما تشير إليه كل البيانات السابقة، بفعل وجود أساطيل حربية ضخمة تابعة لعدد من الدول الكبرى، خاصة الولايات المتحدة، تتمركز بشكل شبه دائم في المياه الدولية المحيطة بالمنطقة، أو الداخلة فيها، وتستخدم القواعد والتسهيلات العسكرية المنتشرة في كل دول المنطقة تقريبا. ويمكن نشر وحداتها البرية والجوية في أقاليم المنطقة وقت الضرورة تبعاً لأهداف تواجدها، كالأسطول السادس الأميركي في البحر المتوسط. وكذلك وحدات الأسطول السابع الأميركي التي تتمركز في المحيط الهندي وبحر العرب الذي تعتمد القيادة المركزية على وحداته، مدعومة من الوحدات البحرية الأميركية الغربية، وتضم تلك الأساطيل والتشكيلات البحرية أعدادا كبيرة من القطع البحرية المتنوعة بينها حاملات طائرات، فضلا إلى قوات بحرية ومشاة بحرية وطائرات مقاتلة من طرازات مختلفة، يمكن استخدامها في عمليات التدخل السريع في الشرق الأوسط.

وتحمل تلك القوات ترسانة هائلة من الأسلحة التقليدية، تتضمن ذخائر ذكية وذخائر شديدة التدمير، تمكنها من إدارة عملية عسكرية كبيرة في ظل سيطرة جوية كاملة تقريبا كما حدث في حرب الخليج عام 1991. ويقينا ان تلك القوات تحمل أسلحة محرمة دوليا.

في النهاية، يوضح ما سبق أن الوجود العسكري الأميركي في الشرق الأوسط، الذي يتضمن وجود قواعد عسكرية رئيسة، يمثل أحد المعطيات الأساس في معادلات الأمن الإقليمية، ويتيح للولايات المتحدة حرية حركة واسعة في مواجهة ما تعتبره مصادر تهديد لأمنها القومي، وتحكم واسع النطاق في اتجاه التفاعلات السياسية بالمنطقة، وقد عدت إيران "الوجود العسكري للقوى الخارجية" حولها في الخليج العربي والقواعد العسكرية في تركيا وشمال العراق، والاتفاقات الأمنية بين الدول العربية والدول الغربية "مصدر من مصادر القلق[3]. وبعد أن استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية تأمنين البيئة الدولية، أخذت مسارات سياستها الخارجية وتوجهاتها تتخذ منحا انفرادي في السلوك السياسي الدولي، وانعكس ذلك على توجهاتها إزاء العراق، فالولايات المتحدة الأمريكية تمكنت من فرض الهيمنة المطلقة على العراق لتحقيق أهداف أمريكية كونية، تتجه نحو الهيمنة والتحكم بمفاتيح العوامل الإستراتيجية، وفي مقدمتها الطاقة ومصادرها، ليتسنى

---

1- جمال واكيم، صراع القوى الكبرى على سوريا :الأبعاد الجيوسياسية لأزمة،2011 شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ،بيروت2013، ص33.

2 – طلعت أحمد مسلم، الوجود العسكري الأجنبي في الوطن العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 1994، ص 83-92، ص 119-125.

3- حسن مشهدي، ضبط التسلح والأمن الإقليمي في الشرق الأوسط: منظور إيراني، في: محمد زهير دياب (مترجم ومحرر)، ضبط التسلح والأمن في الشرق الأوسط: البحث عن أرضية مشتركة، ص 98.

لها التحكم فيام بعد بأية تحولات دولية لا تخدم مصالحها، والهيمنة على نفط العراق هو السبيل المهم والأكثر جدوى لتحقيق هذه الأهداف.

الاستراتيجية الروسية

تقدم روسيا نفسها للشرق الأوسط كقوة استقرار تبحث عن التعاون العسكري والأمني والاقتصادي والتجاري مع جميع دول المنطقة دون أن تشترط على دول الشرق الأوسط بينها وبين تحالفاتهم القائمة مع الولايات المتحدة الأمريكية. وقد تركت روسيا الولايات المتحدة الامريكية وضع القيود على صادرات السلاح للمنطقة، فيما عرضت سلاحها دون قيد وشروط. وقد وظّف صنّاع القرار في روسيا واجهزتها الدبلوماسية حالة من الغموض التي صنعتها تقلبات السياسة الأمريكية فيما يخص أمن منطقة الشرق الأوسط، وحاولوا تصدير صورة جديدة لروسيا كقوة عظمى قادرة على التدخل العسكري والأمني المباشر للدفاع عن حلفائها كالتدخل في سوريا وقدرتها في التأثير على تطورات ونتائج الصراعات الدائرة في المنطقة (ليبيا مثالا) ولا تعارض الحلول الدبلوماسية لإنهائها كما تفعل مع إيران.

وتركز روسيا في استراتيجيتها إلى تكثيف جهودها للحفاظ على الوجود الإقليمي والتأثير السياسي، وتركز على تعزيز التعاون الاقتصادي مع دول الشرق الأوسط، والاستثمار في مشروعات تنمية مشتركة وفي ذات الوقت تعمل على دعم الحلول السياسية للنزاعات في المنطقة بوصفها وسيطًا دوليًّا فاعلا.

اما على الصعيد الأمني، فروسيا تتطلع إلى تعزيز التعاون الدفاعي والعسكري مع الدول الشريكة في المنطقة لتعزيز قدراتها وتأثيرها لتعزيز الاستقرار الإقليمي. وتختلف روسيا مع الولايات المتحدة في عدد من الموضوعات، وأبرزها الرفض الروسي للتفرد الأميركي وتسعى لعالم متعدد الأقطاب، كما تصر على ضرورة إدارة العلاقاتّ الدولية عبر تعددية قطبية وبخاصة في الشرق الأوسط، وان إستراتيجية روسيا في منطقة الشرق الأوسط لعام 2024، تستند إلى فهم التحولات الجيوسياسية والاقتصادية في المنطقة والعالم وان الإستراتيجية الروسية تطوّرت من التوجه الأوروبي الأطلسي إلى تأكيد الهوية الأوراسية، مع التركيز على التكامل والتنوع في استجابتها للتحديات المتغيرة، ومع تطور العلاقات بين روسيا ودول الشرق الأوسط، تم التركيز على الشراكات الفاعلة مع دول مثل إيران، وتركيا، والصين، تتضح أهمية العلاقات الإقليمية في تشكيل إستراتيجية روسيا في المنطقة.اعتمدت روسيا في مواجهة التحديات التي تعترضها في منطقة الشرق الأوسط على تبني إستراتيجيات متعددة، بدءًا من تعزيز العلاقات الدبلوماسية، وصولًا إلى التدخل العسكري، مما يظهر مرونتها في تكييف إستراتيجياتها وفقًا للظروف المتغيرة، واستعدادها لتبني الوسائل الملائمة لحماية مصالحها، وتحقيق أهدافها في المنطقة[1].

وللعوامل الاقتصادية والطاقوية، تأثيرا فعالا في مدركات القرار الروسي وتظهر أهمية الاقتصاد الكبير والموارد الطبيعية الضخمة في توجيه روسيا للتفاعل مع المنطقة، بخاصةً فيما يتعلق بصناعة تصدير النفط. كما أن تعاون روسيا مع الدول الأوراسية يعكس التحول الاقتصادي، والبحث عن التكامل في مجالات الطاقة والاقتصاد.

وتواجه روسيا الكثير من التحديات التي تعقد المتغير الروسي إقليميا ودوليا وهو كيفية تحقيق توازن بين العلاقات مع مختلف اللاعبين في المنطقة، ومنهم الدول العربية، و(إسرائيل)، وتركيا، دون التورط في صراعات إقليمية، وكيفية التفاعل مع التغيرات المستمرة في هياكل الحكم في بعض الدول العربية، ومع التركيز على دعم المنطقة واستقرارها يقود ذلك الى كيفية تحقيق توازن في مواجهة المنافسة الإقليمية، بخاصةً القوى الدولية والإقليمية الكبرى الأخرى وتحقيق التوازن والتعاون الاقتصادي وتحقيق المصالح الاقتصادية في الشرق الأوسط في ظل تغيرات أسواق الطاقة العالمية[2].

وعليه فان الأهداف الإستراتيجية والأمنية لروسيا تتجسد في تعزيز وجودها في البحرين الأسود والمتوسط ويسعى الروس إلى ضمان وجود عسكري دائم في هذه المياه، وتعزيز المواقع الإستراتيجية في البحر الأسود ومنطقة الشرق الاوسط. يعكس ذلك أهمية المنطقة في الأولويات الروسية، بخاصةً في ظل التحركات الأمريكية وحلف شمال الأطلسي بعد الأزمة الأوكرانية ويتعامل الروس مع تغيرات ميزان القوى الدولي، إذ تتزايد قدرات روسيا، مقابل القدرات الأمريكية، مما يجعل النظام الدولي يذهب إلى التعددية. وهذا ما جعل لروسيا قوة فاعلة وذا تأثير على الصعيدين الدولي والإقليمي، وكشفت الأزمة الأوكرانية عن تناقضات المصالح بين موسكو وواشنطن[3].

---

1 – علي وهب، الصراع الدولي للسيطرة على الشرق الأوسط: التآمر الأمريكي– الصهيوني، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، 2015، ص55

2– ديميتري ترينين، روسيا وإيران: الارتياب التاريخي والشراكة المعاصرة، مركز كارنيجي موسكو، آب2016.

3 – حسني عماد حسني العوضي، السياسة الخارجية الروسية تجاه الشرق الأوسط 2016 – 2011، مركز بيروت لدراسات الشرق الأوسط على الرابط الالكتروني http: //beirutme. com?p=17073 www.

والمتتبع للشأن الروسي يرى انها تسعى إلى إقامة شراكة إستراتيجية مع الدول العربية، لتحقيق استقرار داخلي لروسيا، وتعزز العلاقات الجيدة مع دول المنطقة. يركز الروس على استغلال حالات الفشل العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط بخاصة غزو العراق لزيادة مكاسبهم ونفوذهم، ويسعون إلى تقوية التقارب مع دول المنطقة وإعادة تأكيد وجودها لتحقيق الأمان الإقليمي من خلال استنزاف القدرات الإستراتيجية للولايات المتحدة ودعم الروس للدول الحليفة، مثل إيران وسوريا، وتعزيز التقارب مع دول المنطقة وبذلك يعدّ التوجه الروسي نحو الشرق الأوسط توجهًا إستراتيجيًّا متعدد الأبعاد، حيث يسعى الروس إلى تحقيق أهدافهم الاقتصادية والعسكرية والسياسية في هذه المنطقة وتأتي هذه الأهداف في سياق التحولات الجيوسياسية العالمية، والتحديات الجديدة التي تواجه النظام الدولي.

يتطلب تحقيق هذه الأهداف توجيه استراتيجيات دقيقة، وتكاملًا مستمرًا للسياسة الخارجية الروسية. تظهر هذه الأهداف كجزء من إستراتيجية أوسع يتبناها الكرملين لتحديد دور روسيا في التشكيل المستقبلي للنظام الدولي، وتعزيز مكانتها العالمية.

يمكن تلخيص الأهداف الروسية في المنطقة بالسعي إلى تحقيق توازن القوى الإقليمية والعالمية، وذلك من خلال استنزاف قدرات الولايات المتحدة، وتعزيز النفوذ الروسي في المنطقة، وتعزيز استقلالها الاقتصادي والعسكري عن التأثيرات الغربية، وخاصة الأمريكي، وتكوين تحالفات وشراكات إستراتيجية مع دول الشرق الأوسط، ومنها دول ذات أهمية إستراتيجية كإيران وسوريا. تستند هذه الشراكات إلى مصالح مشتركة في مجالات الأمن، والطاقة، والتجارة، ويتعلق الهدف الروسي أيضًا بتعزيز الاستقرار في المنطقة من خلال وساطتها في تسوية في النزاعات. يرى الروس أنه من خلال التدخل السياسي والدبلوماسي، يمكنهم تحقيق التوازن والتأثير في قضايا المنطقة.

المطلب السادس: تحديات منطقة الشرق الأوسط

تمتد منطقة الشرق الأوسط على مساحة جغرافية واسعة، وتشمل بلدانا عدة، تختلف فيها الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية، وينجم عن ذلك تباين التحديات واختلاف حدتها من بلد لآخر. وتبرز في المنطقة عموما جملة من التحديات والمشكلات، أهمها:

الفرع الأول: - الاطماع الخارجية

تسببت الميزات التي وُهبت لمنطقة الشرق الأوسط في أن تصبح هدفا للمطامع الأجنبية، وموضع تنافس القوى العالمية، وتحاول الدول الكبرى باستمرار فرض سيطرتها على المنطقة، ومن ثم توظيف نفوذها لاستغلال الثروات الطبيعية ومقومات القوة فيها، وخدمة مصالحها في الصراع الدولي.

وفي المنطقة وجود مكثف للقوات الأميركية والأجنبية، وهو ما يسبب تدخلات دائمة ومستمرة في الشؤون المحلية والإقليمية، فضلا عن دعم الصراعات الداخلية والتشرذم.

الفرع الثاني: -النزاعات الداخلية

تضم منطقة الشرق الأوسط قوميات وإثنيات عرقية ودينية وأقليات متعددة، ويفضي هذا التباين إلى صراعات ونزاعات داخلية، ويقود التعصب القومي أحيانا بين القوميات الثلاث الكبرى (العرب والفرس والترك)، والتي تشكل المجتمع في منطقة الشرق الأوسط، وتؤدي إلى نزاعات وإن لم تكن هي الأشد على أرض الواقع.

ويأخذ صراع الإثنيات الدينية بين السنة والشيعة، ودعم إيران للطوائف الشيعية في المنطقة، أو اندلاع حركات تمرد من قبل الأقليات العرقية مثل الأكراد، خطا أقوى في مسار الصراعات في المنطقة.

ويمثل التهديد الناجم عن دولة الاحتلال الإسرائيلي التحدي الأكبر والحقيقي لأمن المنطقة واستقرارها السياسي، إذ يصر الاحتلال باستمرار على فرض تفوقه في القدرة والقوة العسكرية على بلدان المنطقة، ويشن حروب، ويتسبب في توترات عسكرية دائمة.

وتعتبر بيئة النزاعات المستمرة طاردة للسكان، ويتدفّق اللاجئون من دول الصراع إلى دول المنطقة الأخرى، مما يسهم في احتدام التنافس على الموارد الشحيحة، وتسبب المشاكل المزمنة، الناتجة عن عدم قدرة السلطات المحلية على احتواء الأزمات، إلى تصاعد مشاعر السخط السياسي وتفجر الاضطرابات الاجتماعية-الاقتصادية

الشرق الأوسط ونظرية الحرب العالمية الثالثة

يعد الشرق الاوسط (بؤرة) الصراع العالمي وتتوافر عوامل عدّة لاندلاع حرب عالمية شاملة قي هذه المنطقة ومنها الى العالم والمتتبع في علم العلاقات الدولية يرى ان في مقدّمة هذه العوامل التحالفات والتخندقات العسكرية والسياسية وحتى الاقتصادية التي ينغمس فيها الغرب من جهة، وروسيا والصين من جهة أخرى.

فيما يأتي ثاني هذه العوامل تسارع وتيرة التسلح بين الدول الكبرى، والتسابق بين دول النادي النووي على امتلاك أحدث الأسلحة النووية وأكثرها فتكًا والتهديد باستخدامها كما فعل مسؤولون روس منذ بداية الحرب الحالية في أوكرانيا،

كما يعزّز فرضية الحرب العالمية الثالثة وفق باحثين، وجود أسلحة لم تكن موجودة في السابق، ومن بينها السلاح السيبراني، فضلا إلى الحرب في أوكرانيا، يرشح باحثون بؤر توتر عديدة لانفجار شرارة الحرب، ويأتي في مقدمتها منطقة الشرق الأوسط إذ ان تداعيات البرنامج النووي الإيراني، وأيضًا بحر الصين الجنوبي، وملف تايوان والصراع بين واشنطن وبكين، علاوة على شبه الجزيرة الكورية حيث تهديدات بيونغ يانغ، وليس أخيرًا التوتر بين الهند وباكستان. فضلا عن هيمنة الصراعات والحروب، واستمرار الحرب الأوكرانية، وتصاعد التوتر بين روسيا والصين من جهة والولايات المتحدة من جهة ثانية، ومؤخراً الحرب على غزة، ودخول إيران في الصراع المباشر مع الكيان الصهيوني تترافق مع استمرار مؤشرات تراجع النمو الاقتصادي العالمي فهذه التحولات العنيفة والخطيرة التي تُهدد السلم والأمن الدوليين إذا تُركت دون كابح، والدليل القاطع والبات الذي نراه على حتمية وقوع الحرب الشاملة هو تحرك القوى الفاعلة للسيطرة على المواقع المهمة الجيواستراتيجية عالميا واحتلال العراق هو مفتاح هذه الحرب وساحتها الأولى فموقعه وموارده الاقتصادية الطبيعية تجعله الهدف الأول وساحة الحرب وهذا ما تم حسمه من قبل الولايات المتحدة الامريكية بأحكام السيطرة عليه وإقامة اكبر سفارة لها في العالم وبناء اكبر قواعدها القتالية

من جانب اخر فان الممرات المائية والسيطرة عليها والتحكم بها يعد من دلائل اشتعال الحرب الشاملة فلم تعد الممرات البحرية المهمة كالبحر الأسود ومضيق هرمز، وبحر عمان، ومضيق باب المندب والبحر الأحمر تتمتع بالأمن والانسيابية، بل أصبحت مسرحا للعمليات العسكرية النظامية وغير النظامية، وبطبيعة الحرب تتمدد من البر الى البحر وكذلك الجو، مهناك أساليب الحرب متغيرة لاسيما بخصوص الموارد والوسائل، ومن الملاحظ وفقا للمؤشرات العسكرية والسياسية ان الامن الدولي فقد معاييره في ظل الانتشار المسلح غير المكلف قياسا بكلفة استخدام القوة النظامية.

الخاتمة

إن مسار السياسة الأميركية في الشرق الأوسط بات واضحاً. ومن غير الممكن أن تتراجع الولايات المتحدة او تتخلى عن منطقة الشرق الأوسط، مما سيؤدي إلى تصاعد المنافسة والتوترات بين الجهات الفاعلة الرئيسة فيها. وهذا يعني احتمالية الحرب بين الفاعلين في المنطقة مرتفعة. ولن تتخلى الولايات المتحدة في لعب دورها المتحكم في المنطقة وان نفوذ أميركا يتزايد بتزايد التحديات الاقليمية والدولية وتتخذ الإجراءات كافة لمعالجة التطورات وان كانت قريبة من الحرب وبذلك فان الولايات المتحدة تريد تحقيق نتائج سياسية دائمة ومستقرة في الشرق الأوسط، ولن تترك الدول الإقليمية في الشرق الأوسط صناعة موقف متوازن خاص بالمنطقة ولن يستقر الشرق الأوسط

تأسيسا على ما تقدم فان العالم يخوض حربا عالمية بأنماط مختلفة، لعل الاقتصاد والامن السيبراني اهم العوامل وقد تغيرت قواعد اللعبة في ظل صراع الكبار وطموح الفاعلين الاخرين، ولم يعد هناك مجال للعودة الى الوراء، وقد يكون لصوت السلاح بأنواعه المختلفة في نهاية المطاف القول الفصل في عملية الحسم للتنافس والصراع الدولي.

المصادر:


سليم، محمد السيد، حول إشكالية النظام الدولي الجديد، مجلة السياسة الدولية، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، العدد،1991،103.

مجدوب طه، السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط خلال القرن العشرين" في: الإمبراطورية الأمريكية، ج1 القاهرة، مكتبة الشروق، 2001.

طاهر شاش، العلاقات الأمريكية مع العالم العريب و(إسرائيل)، في: الإمبراطورية الأمريكية، ج1 ـ القاهرة، مكتبة الشروق،،2001 ص247.

صلاح الدين كامل مشرف، السلاح النووي الإسرائيلي ومستقبل الأمن العربي، مجلة إستراتيجيا، السنة التاسعة، العدد 98، أبريل 1990.

طارق المجد وحسن أحمديان وآخرون: إشعال الصرعات في الشرق الأوسط، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، متاح على الرابط www.hattps\\:org.carnegite

جميل هلال، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 6، العدد 22، 1995، ص31.

طه المجدوب، إسرائيل والمشروع الجديد للأمن والدفاع: معاهدة الدفاع مع الولايات المتحدة ركيزة جوهرية في النظرية الجديدة، الأهرام 2000/3/5.

جمال واكيم، صراع القوى الكبرى على سوريا :الأبعاد الجيوسياسية لأزمة،2011 شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،بيروت2013.

طلعت أحمد مسلم، الوجود العسكري الأجنبي في الوطن العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 1994، ص 83-92، ص 119–125.

حسن مشهدي، ضبط التسلح والأمن الإقليمي في الشرق الأوسط: منظور إيراني، في: محمد زهير دياب (مترجم ومحرر)، ضبط التسلح والأمن في الشرق الأوسط: البحث عن أرضية مشتركة، ص 98.

علي وهب، الصراع الدولي للسيطرة على الشرق الأوسط: التآمر الأمريكي- الصهيوني، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، 2015، ص55

ديميتري ترينين، روسيا وإيران: الارتياب التاريخي والشراكة المعاصرة، مركز كارنيجي موسكو، آب2016.

حسني عماد حسني العوضي، السياسة الخارجية الروسية تجاه الشرق الأوسط 2016 - 2011، مركز بيروت لدراسات الشرق الأوسط على الرابط الالكتروني .www http: //beirutme. com?p=17073

Workshop on Arms Control and Security in the Middle East ،Fred Wehling (Editor)
III, IGCC Policy Paper 23, June 1996. P. 6.

Conference of Research Institutions in the ،Chantal de Jonge Oudraat (Editor)
Middle East, Proceedings of the Cairo Conference

Workshop on Arms Control and Security in the Middle East ،Fred Wehling (Editor)
6III, IGCC Policy Paper 23, June 1996. P.